

Atheism Among University Students: Meaning-Construction Dynamics and Identity Reconfiguration in the Context of Contemporary Psychological Counseling and Educational Guidance

Ahmed Maad¹

Science Step Journal / SSJ

2026/Volume 4 - Issue 12

To cite this article: Maad, A.(2026). Atheism Among University Students: Meaning-Construction Dynamics and Identity Reconfiguration in the Context of Contemporary Psychological Counseling and Educational Guidance. Science Step Journal, 4(12). ISSN: 3009-500X. <https://doi.org/10.5281/zenodo.20090729>

Abstract

Universities today are witnessing profound ideological and belief-related transformations among students, with atheism emerging not merely as a rejection of religion, but as a complex psychological and social dynamic closely associated with processes of personal meaning-making and identity reconstruction. This study aims to analyze belief transformations among university students, particularly the adoption of atheistic positions, from a contemporary psycho-educational perspective. The research approaches atheism as a developmental trajectory linked to identity reconfiguration and the search for meaning during emerging adulthood. The study adopts a descriptive-analytical methodology and proposes a field-based framework grounded in a questionnaire² to assess religious identity, meaning-making processes, and the university climate. The findings ultimately emphasize the importance of strengthening preventive approaches within university psychological counseling services. Furthermore, this article explores these dynamics through the lens of contemporary psychological counseling and educational guidance, examining four major dimensions in order to better understand the phenomenon and to propose an integrated framework for student support.

Keywords: Atheism, University Students, Meaning-Making, Identity Reconfiguration, Psychological Counseling, Educational Guidance

¹ Laboratory for Research in Education Sciences, Human Sciences, and Languages (SESHUL)
École Normale Supérieure. Mohammed V University, Rabat

الإلحاد لدى طلبة الجامعة:

ديناميات تشكل المعنى وإعادة بناء الهوية في ضوء الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي المعاصر

د. أحمد معد

ملخص

تشهد الجامعات اليوم تحولات اعتقادية عميقة بين طلابها، حيث يبرز الإلحاد كظاهرة ليست مجرد رفض للدين، بل هي دينامية نفسية واجتماعية معقدة تتصل بشكل وثيق بعملية تشكيل المعنى الشخصي وإعادة بناء الهوية. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التحولات الاعتقادية لدى طلبة الجامعة، خاصة تبني المواقف الإلحادية، من منظور نفسي تربوي معاصر. وتنطلق الدراسة من اعتبار الإلحاد مسارا مرتبطا بإعادة تشكيل الهوية وبناء المعنى في مرحلة الرشد المبكر. بحيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي مع إطار ميداني مقترح يستند إلى استبيان لقياس الهوية الدينية، والبحث عن المعنى، والمناخ الجامعي. وفي الأخير توصي الدراسة بتعزيز المقاربة الوقائية في الإرشاد النفسي الجامعي. إن هذا المقال يتعمق في هذه الديناميات من منظور الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي المعاصر، مستكشفا أربعة محاور رئيسية لفهم هذه الظاهرة وتقديم إطار عمل متكامل لدعم الطلبة.

الكلمات المفتاحية

الإلحاد، طلبة الجامعة، بناء المعنى، إعادة تشكيل الهوية، الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي

مقدمة

تشهد المرحلة الجامعية تحولات معرفية وقيمية عميقة، إذ ينتقل الطالب من مرجعيات أسرية تقليدية إلى فضاء أكاديمي تعددي يعرضه لأفكار فلسفية متنوعة، علوم تجريبية، وتأثيرات ثقافية عالمية عبر الإنترنت والتفاعلات الاجتماعية، مما يثير إعادة تقييم جذرية للمعتقدات الدينية الموروثة. هذه التحولات، التي قد تمتد من تعزيز الإيمان إلى تعديله أو حتى رفضه جزئياً أو كلياً، لا تشكل انحرافاً فكرياً منعزلاً، بل هي جزء لا يتجزأ من سيرورة النمو النفسي في سن 18-24 عاماً، حيث يتداخل تشكل الهوية الذاتية مع البحث عن معنى وجودي أعمق وسط ضغوط مثل الاستقلال الذاتي، الضغط الأكاديمي، والشكوك الناتجة عن التناقضات بين التراث والحداثة.

إذا كيف يمكن فهم التحولات الاعتقادية لدى طلبة الجامعة في ضوء ديناميات تشكل الهوية والبحث عن المعنى؟ وما الدور المهني للإرشاد النفسي والتوجيه التربوي في مواكبة هذه التحولات؟

التأطير النظري: التحول الاعتقادي كمسار نمو وهوية

في جوهر فهم التحولات الاعتقادية لدى طلبة الجامعة يكمن الإطار النظري الذي يرى هذه التحولات كجزء لا يتجزأ من مسار النمو الشخصي وتشكيل الهوية، وليس مجرد موقف فكري سطحي. هذه المرحلة العمرية، المعروفة بالرشد المبكر، تعد حجر الزاوية في بناء الذات.

1. تشكيل الهوية في مرحلة الرشد المبكر وفق تصور إريك إريكسون

يعد عالم النفس التنموي إريك إريكسون من أبرز المنظرين الذين قدموا إطاراً شاملاً لفهم تطور الهوية البشرية. يصف إريكسون مرحلة الرشد المبكر (التي غالباً ما تتزامن مع سنوات الجامعة، من 18 إلى 25 عاماً) بأنها مرحلة "الهوية مقابل الارتباك". في هذه المرحلة، يسعى الشباب بنشاط لدمج تجاربهم المتنوعة، معتقداتهم، وقيمهم في هوية متماسكة وذات معنى. إن الإلحاد، في هذا السياق، يمكن أن يكون تعبيراً عن هذا البحث العميق عن الذات، حيث يواجه الطالب تساؤلات وجودية تتطلب إعادة تقييم للمعتقدات الموروثة.

الجامعة، بمناخها الفكري المتنوع وتعرضها للأفكار الفلسفية والعلمية المختلفة، توفر بيئة فريدة لهذا الاستكشاف الهوياتي. قد تدفع هذه البيئة الطالب إلى التساؤل عن القناعات التي نشأ عليها، مما يفتح الباب أمام تحولات اعتقادية. يرى إريكسون أن تجاوز أزمة الهوية بنجاح يؤدي إلى الشعور بالكفاءة والقدرة على الانخراط في علاقات صحية واتخاذ قرارات مستقلة، مما يجعل الإرشاد النفسي ضرورياً لدعم هذا المسار التنموي وتحويل ما قد يبدو كآزمة إلى فرصة للنمو.

2. التحول الاعتقادي بوصفه إعادة تنظيم للمعنى لا مجرد موقف فكري

يتجاوز التحول الاعتقادي، بما في ذلك الإلحاد، كونه مجرد تغيير في الرأي أو تبني موقف فكري جديد. إنه في جوهره عملية أعمق لإعادة تنظيم المعنى الشخصي. عندما يفقد الأفراد الإطار المرجعي التقليدي الذي اعتادوا عليه، يضطرون إلى إعادة بناء إطار وجودي جديد يمنح حياتهم معنى واتجاها. هذا يتضمن إعادة تقييم القيم، الأهداف، والغايات الشخصية في ضوء التجارب الجديدة والمعارف المكتسبة.

في السياق الجامعي، حيث يتعرض الطلاب لمجموعة واسعة من الأيديولوجيات ووجهات النظر، يمكن أن يؤدي هذا التنوع إلى تحدي المعتقدات الراسخة. يمكن أن يكون الإلحاد نتاجا لهذا التحدي، ولكنه أيضا يمكن أن يكون خطوة نحو بناء نظام اعتقادي أكثر اتساقا مع التجارب الشخصية للطلاب والمعلومات التي يكتسبها. الإرشاد النفسي، في هذه الحالة، لا يهدف إلى إعادة توجيه الطالب نحو قناعات معينة، بل إلى دعمه في عملية البحث عن معنى شخصي متكامل يعزز صحته النفسية ويقلل من التوتر المصاحب لهذه التحولات.

3. الأسس النفسية للتحولات الاعتقادية

لفهم أعمق لديناميات الإلحاد لدى طلبة الجامعة، يجب النظر في الأسس النفسية الكامنة وراء هذه التحولات. تتضمن هذه الأسس البحث عن المعنى الوجودي، السعي نحو الاستقلال المعرفي، والتعامل مع التنافر المعرفي.

3.1. أزمة المعنى والبحث عن الاتساق الداخلي (في أفق التحليل الوجودي عند فيكتور فرانكل)

وفقا لعالم النفس والطب النفسي فيكتور فرانكل، فإن البحث عن المعنى هو الدافع الأساسي للإنسان. في سياق الإلحاد الجامعي، غالبا ما تنشأ أزمة المعنى عندما يجد الطلاب أنفسهم في مواجهة تناقضات بين التربية الدينية التي تلقوها في السابق والمعارف العلمية والفلسفية الجديدة التي يتعرضون لها في الجامعة. هذه التناقضات يمكن أن تؤدي إلى شعور بالفراغ الوجودي، حيث تتزعزع الأسس التي كانت تمنح حياتهم معنى.

يرى فرانكل أن الإنسان يمكنه إيجاد معنى لحياته حتى في أصعب الظروف. لذا، فإن الإلحاد قد لا يكون نهاية البحث عن المعنى، بل نقطة تحول تدفع الطالب لإعادة تعريف معنى وجوده بناء على قيمه وتجاربه الشخصية. يساعد الإرشاد النفسي الوجودي الطلاب على استكشاف هذا الفراغ وإيجاد طرق لإعادة بناء المعنى، مع التركيز على المسؤولية الشخصية والحرية في الاختيار.

3.2. الاستقلال المعرفي وتحرر القرار القيمي

تعتبر مرحلة الجامعة فترة حاسمة لتنمية الاستقلال المعرفي وتحرر القرار القيمي. في هذه المرحلة، يبدأ الطلاب في تطوير قدرتهم على التفكير النقدي واتخاذ قرارات مستقلة بناء على تحليلهم الخاص للأدلة والمعلومات، بدلا من مجرد قبول المعتقدات الموروثة. هذا التحرر يشمل الجوانب القيمية، حيث يعيد الطالب تقييم مجموعته من القيم ويبدأ في بناء نظام قيمي خاص به يتوافق مع فهمه للعالم والذات.

الإلحاد يمكن أن يكون مظهرا من مظاهر هذا الاستقلال المعرفي، حيث يختار الطالب تحدي المعتقدات التقليدية والبحث عن مسارات فكرية بديلة. يدعم الإرشاد النفسي هذا التحول من خلال تعزيز التفكير النقدي، مهارات حل المشكلات، والوعي الذاتي، مما يمكن الطلاب من اتخاذ قرارات قيمية مستنيرة ومتحررة من الضغوط الخارجية، وبالتالي بناء هوية أكثر أصالة.

3.3. أثر التنافر المعرفي في مراجعة المعتقدات

التنافر المعرفي، وهو مفهوم قدمه ليون فيستنجر، يشير إلى حالة من عدم الارتياح النفسي تنشأ عندما يمتلك الفرد معتقدات أو أفكارا متناقضة. في سياق التحولات الاعتقادية، يواجه الطالب تنافرا معرفيا عندما تتعارض المعتقدات الدينية التي تربى عليها مع المعارف العلمية أو الفلسفية الجديدة التي يكتشفها في الجامعة. هذا التنافر يخلق دافعا قويا لدى الفرد لتغيير أحد المعتقدات أو السلوكيات المتعارضة لتقليل هذا الشعور بعدم الارتياح.

يمكن أن يؤدي التنافر المعرفي إلى مراجعة شاملة للمعتقدات، وقد يكون الإلحاد نتيجة لهذه المراجعة. الإرشاد النفسي يساعد الطلاب على إدارة هذا التنافر من خلال توفير مساحة آمنة لاستكشاف المعتقدات المتعارضة، تطوير استراتيجيات للتكيف، وتنمية القدرة على دمج الأفكار الجديدة بطريقة متماسكة. هذا لا يعني بالضرورة تبني الإلحاد، بل هو مساعدة الطالب على الوصول إلى قناعات تتوافق مع ذاته، سواء كانت دينية أو غير دينية.

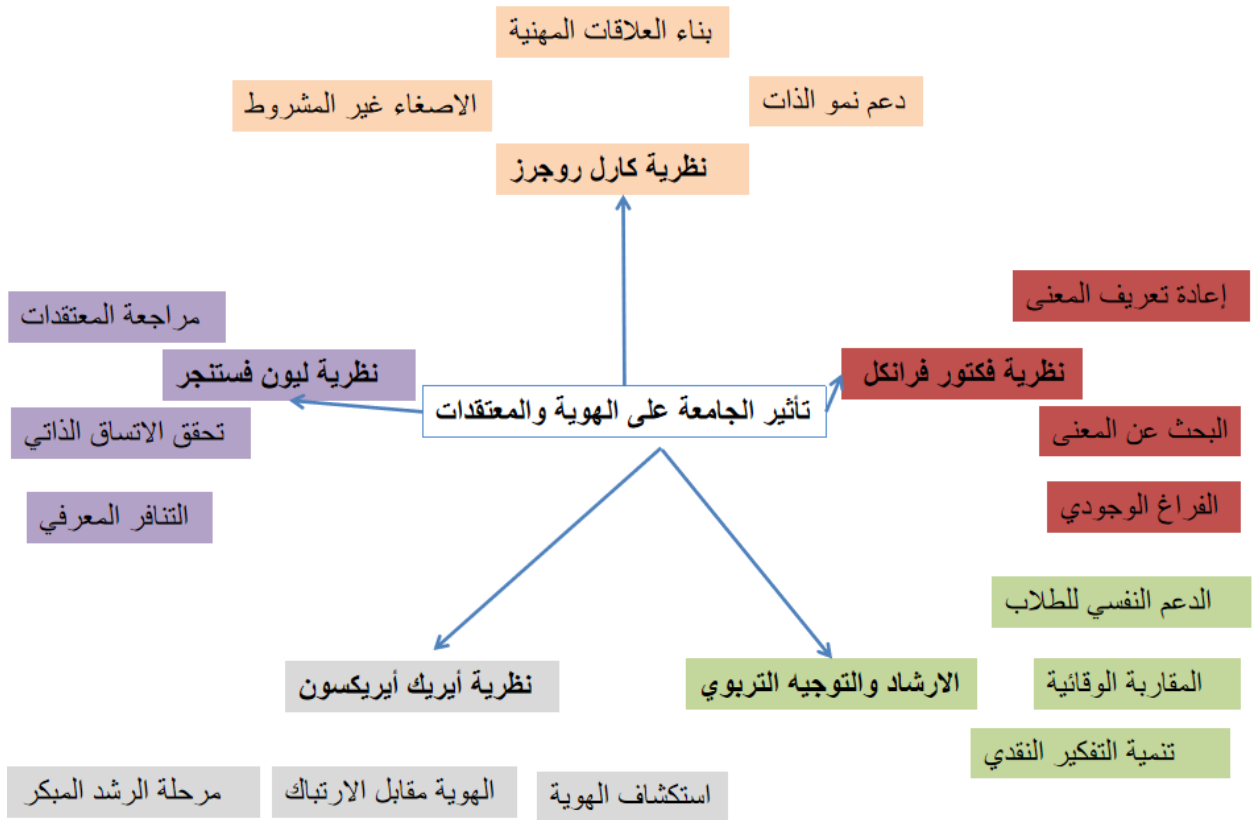
4. التوجيه التربوي والسياق الجامعي

تلعب الجامعة دورا حيويا ومحوريا في حياة الشباب، ليس فقط كمؤسسة تعليمية ولكن كبيئة اجتماعية وثقافية تساهم بشكل كبير في إعادة تشكيل المرجعيات الاعتقادية والقيمية. هذا الدور يتطلب مقاربات توجيهية وتربوية مدروسة.

4.1. الجامعة كفضاء لإعادة تشكيل المرجعيات

تعتبر الجامعة بيئة ديناميكية حيث يتعرض الطلاب لمجموعة واسعة من الأفكار، الثقافات، ووجهات النظر. هذا التنوع يثير التساؤلات ويشجع على إعادة تقييم المرجعيات التي تشكلت لديهم خلال فترة نشأتهم. في هذا الفضاء، يجد الطلاب أنفسهم أمام فرصة لإعادة بناء أطهرهم المعرفية والاعتقادية، سواء بتعزيز قناعاتهم السابقة أو بتشكيل قناعات جديدة.

التعرض لمقررات دراسية تتناول الفلسفة، علم الاجتماع، الأديان المقارنة، والعلوم الطبيعية، يمكن أن يفتح آفاقا جديدة للتفكير. لذا، ينبغي أن تكون الجامعة مكانا يشجع على الحوار الفكري الحر والنقاش البناء حول هذه القضايا، مما يساعد الطلاب على تطوير فهم أعمق للعالم ولذواتهم.



خطاطة 1: العلاقة بين النظريات النفسية وتأثير الجامعة على الهوية والمعتقدات

المنهجية الميدانية

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بوصفه منهجا ملائما لتحليل الظواهر النفسية-التربوية ذات الأبعاد القيمية والهوياتية، حيث يسمح برصد الواقع كما هو، ثم تفسيره في ضوء الأطر النظرية المعاصرة. ولا يقتصر توظيف هذا المنهج على الوصف الكمي للمعطيات، بل يمتد إلى تحليل العلاقات بين المتغيرات والكشف عن ديناميات التأثير المتبادل بينها. وانطلاقا من ذلك، تم اعتماد تطبيق ميداني يستند إلى أداة استبيان محكمة، صممت لقياس أربعة محاور رئيسة تعكس البناء النظري للدراسة، وهي: (1) الهوية الدينية بما تتضمنه من درجة الالتزام والتعريف الذاتي والانتماء القيمي، (2) البحث عن المعنى باعتباره مؤشرا على النزعة الوجودية ومحاولة تحقيق الاتساق الداخلي، (3) المناخ الجامعي من حيث إدراك الطلبة مدى تقبل الاختلاف الفكري وتوافر فضاءات الحوار، و(4) التحولات الاعتقادية التي ترصد مدى التغير في القناعات خلال المسار الجامعي وأسبابه المحتملة. ويهدف هذا التصميم المنهجي إلى بناء فهم متكامل يربط بين الأبعاد النفسية والسياقية، بما يسمح بتفسير التحولات الاعتقادية في ضوء التفاعل بين الفرد وبيئته الجامعية.

1. عينة الدراسة

تتكون عينة الدراسة من 250 طالبا وطالبة ينتمون إلى تخصصات أكاديمية متنوعة (علمية، أدبية، وتقنية)، وذلك بهدف ضمان تمثيل أوسع لمختلف الخلفيات المعرفية داخل المؤسسة الجامعية. وقد تم اعتماد أسلوب العينة العشوائية الطبقية، حيث قسم مجتمع الدراسة إلى طبقات وفق متغيرات محددة مثل التخصص وسنة الدراسة والجنس، ثم جرى اختيار عدد متناسب من المشاركين من كل طبقة بطريقة عشوائية. ويسهم هذا الإجراء في تعزيز تمثيلية العينة وتقليل التحيز الإحصائي، بما يضمن دقة أكبر في تعميم النتائج على مجتمع الدراسة الأصلي، كما يسمح بإجراء مقارنات تحليلية بين الفئات المختلفة للكشف عن الفروق المحتملة في التحولات الاعتقادية وفق المتغيرات الديموغرافية والأكاديمية.

2. أداة الدراسة "الاستبيان"

يتكون الاستبيان من 30 بندا وفق مقياس ليكرت الخماسي (1-5).

عدد الأسئلة	المحور
8	الهوية الدينية
8	البحث عن المعنى
7	المناخ الجامعي
7	التحولات الاعتقادية

جدول 1: بنود الاستبيان وفق مقياس ليكرت الخماسي

3. التحليل الإحصائي

تمت معالجة البيانات إحصائياً عبر حزمة من الأساليب الكمية الملائمة لطبيعة متغيرات الدراسة وأهدافها. في المرحلة الأولى، جرى حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لوصف اتجاهات استجابات أفراد العينة على محاور الاستبيان الأربعة، بما يسمح بتحديد مستوى كل متغير (مرتفع، متوسط، منخفض) وتقدير درجة تشتت الإجابات حول المتوسط.

وفي المرحلة الثانية، استخدم اختبار (T-test) لعينتين مستقلتين للكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات مجموعتين (مثل الذكور والإناث، أو طلبة التخصصات العلمية مقابل الأدبية) فيما يتعلق بدرجات الهوية الدينية أو التحولات الاعتقادية.

كما تم توظيف تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) عند مقارنة أكثر من مجموعتين (مثل سنوات الدراسة: أولى، ثانية، ثالثة...) بهدف تحديد ما إذا كانت هناك فروق جوهرية بين المتوسطات تعزى لمتغيرات ديموغرافية أو أكاديمية. وعند ظهور فروق دالة، يمكن إجراء اختبارات المقارنات البعدية (Post Hoc) لتحديد مصدر الفروق بدقة.

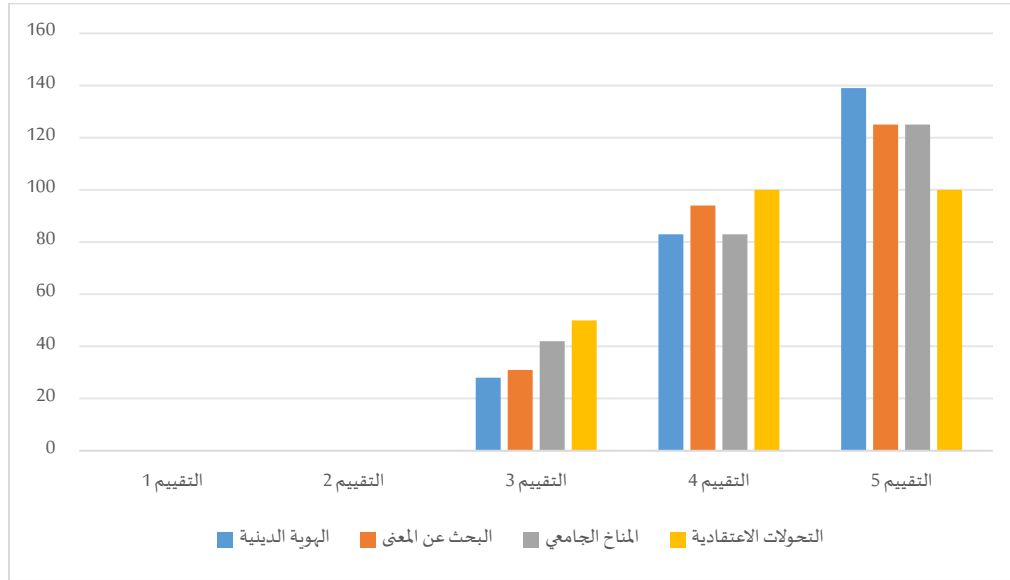
ولفحص طبيعة العلاقة بين المتغيرات، استخدم معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient) لقياس قوة واتجاه العلاقة بين البحث عن المعنى، والمناخ الجامعي، والهوية الدينية، والتحول الاعتقادية، مع تفسير قيم الارتباط وفق المعايير الإحصائية المعتمدة.

وأخيراً، تم اعتماد تحليل الانحدار الخطي المتعدد بوصفه إجراء تنبؤياً يهدف إلى تحديد مدى إسهام المتغيرات المستقلة (البحث عن المعنى، المناخ الجامعي، الهوية الدينية) في تفسير التباين في المتغير التابع (التحول الاعتقادية)، مع حساب معاملات الانحدار (Beta)، ومعامل التحديد (R^2)، واختبار دلالة النموذج الكلي، بما يسمح ببناء نموذج تفسيري متكامل للظاهرة محل الدراسة.

النتائج

أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين مستوى البحث عن المعنى والتحول الاعتقادية لدى طلبة الجامعة ($r=0.42, p<0.01$)، مما يشير إلى أنه كلما ارتفع انخراط الطالب في التساؤل الوجودي والسعي إلى بناء معنى لحياته، زادت احتمالية حدوث مراجعات أو تغيرات في منظومته الاعتقادية. وتعكس قيمة معامل الارتباط درجة متوسطة من العلاقة، بما يؤكد وجود ارتباط ملحوظ دون أن يصل إلى مستوى الحتمية التفسيرية.

كما كشفت النتائج عن فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لسنة الدراسة، وهو ما يدل على أن المسار الجامعي نفسه يمثل عاملا مؤثرا في ديناميات التحول الاعتقادي، حيث تزداد حدة المراجعات الفكرية عادة في السنوات المتقدمة نتيجة تراكم الخبرات الأكاديمية واتساع الأفق المعرفي.



مبيان 1: نتائج الاستبيان

1. تحليل المحور الأول: الهوية الدينية

حصلت الهوية الدينية على أعلى متوسط (4.44 من 5)، مع 139 طالبا (55.6%) يعطون تقييم 5، و83 (33.2%) تقييم 4، و28 فقط (11.2%) تقييم 3. هذا يعكس تماسكا قويا في الهوية الدينية لدى الطلاب، ربما بفضل التربية الثقافية أو البرامج الجامعية الداعمة، حيث يرفض 100% من الطلاب التقييمات السلبية (1-2).

الانحراف المعياري المنخفض (0.69) يشير إلى إجماع واسع، مما يجعل هذا المحور أساسا صلبا للرضا العام ونقطة قوة يمكن الاستفادة منها في البرامج التعليمية.

2. تحليل المحور الثاني: البحث عن المعنى

يحتل البحث عن المعنى المرتبة الثانية بمتوسط 4.38، مع 125 طالبا (50%) في تقييم 5، 94 (37.6%) في 4، و31 (12.4%) في 3. التوزيع مشابه للمحور الأول لكنه أقل حدة قليلا، مما يوحي بأن الطلاب يجدون معنى في دراستهم أو حياتهم الجامعية، لكن بعضهم (12.4%) يعبر عن حاجة إلى دعم إضافي مثل ورش فلسفية أو إرشاد نفسي.

هذا المحور مترابط مع الهوية الدينية، وانحراف 0.69 يؤكد الاستقرار، مع إمكانية تحسين بنسبة 2-3% عبر أنشطة الإرشادية.

تحليل المحور الثالث: تحليل المناخ الجامعي

المناخ الجامعي يسجل متوسط 4.33، مع 125 (50%) في 5، 83 (33.2%) في 4، و42 (16.8%) في 3. الارتفاع في نسبة التقييم 3 يشير إلى تحديات مثل التوتر الاجتماعي أو نقص التفاعل، رغم الإيجابية العامة.

الانحراف (0.75) أعلى قليلاً، مما يعكس تبايناً في التجارب اليومية، ويوصى بتحسينات مثل فعاليات تكامل لتقليل الفجوة إلى أقل من 15% في التقييمات المتوسطة، مع الحفاظ على القوة في الرضا العالي.

تحليل المحور الرابع: التحولات الاعتقادية

التحولات الاعتقادية هي الأقل بمتوسط 4.20، مع 100 طالب (40%) في 5، 100 (40%) في 4، و50 (20%) في 3. التوازن بين 4 و5 مع ارتفاع 3 يدل على حساسية هذا المحور، حيث قد يعاني بعض الطلاب من صراعات اعتقادية أو تغييرات بسبب التأثيرات الخارجية.

الانحراف (0.75) يبرز الحاجة إلى دعم استشاري، ويمكن رفع المتوسط إلى 4.4 عبر برامج المقاربة الوقائية في التوجيه التربوي، خاصة أن 80% لا يزالون إيجابيين.

التوصيات

1. المناخ التعليمي وتعزيز الحوار

إن المناخ التعليمي داخل الجامعة له تأثير بالغ الأهمية على كيفية تعامل الطلاب مع التحولات الاعتقادية. فإذا كان المناخ يشجع على الحوار المفتوح، الاحترام المتبادل لوجهات النظر المختلفة، والتفكير النقدي، فإنه يمكن أن يسهل عملية بناء المعنى ويقلل من حدة الاستقطاب. هذا النوع من البيئة يسمح للطلاب بالتعبير عن شكوكهم وتساؤلاتهم دون خوف من الحكم أو الإقصاء.

على النقيض، إذا كان المناخ التعليمي يكرس الاستقطاب، ويحظر النقاشات الحرة، أو يفرض رؤية واحدة، فإنه قد يدفع الطلاب إلى الإنكار أو إلى تبني مواقف متطرفة، مما يعمق أزمة الهوية ويزيد من التوتر النفسي. لذا، من الضروري أن تعمل الجامعات على بناء بيئة آمنة وداعمة تعزز التسامح والحوار المسؤول.

2. أهمية المقاربة الوقائية في التوجيه التربوي

تكمن أهمية المقاربة الوقائية في التوجيه التربوي في استباق المشكلات المتعلقة بالتحويلات الاعتقادية بدلا من معالجتها بعد وقوعها. تتضمن هذه المقاربة برامج تعليمية وورش عمل تركز على تطوير مهارات التفكير النقدي، مهارات حل المشكلات، مهارات التواصل الفعال، وتعزيز الوعي الذاتي. إن الهدف من ذلك هو تزويد الطلاب بالأدوات اللازمة للتعامل مع التحديات الفكرية والوجودية بشكل صحي وبناء.

على سبيل المثال، يمكن للجامعات تنظيم برامج توجيهية حول "أخلاقيات الحوار" أو "فن الاختلاف"، مما يساعد الطلاب على فهم كيفية النقاش حول القضايا الحساسة بطريقة بناءة. هذه المقاربة لا تهدف إلى منع الإلحاد، بل إلى تمكين الطلاب من اتخاذ قرارات مستنيرة وبناء قناعاتهم الخاصة بطريقة صحية، مما يقلل من احتمالية الوقوع في أزمات هوية أو صراعات داخلية حادة.

تتمثل المقاربة الوقائية في التوجيه التربوي في الانتقال من منطق التدخل بعد ظهور الأزمة إلى منطق الاستباق وبناء المناعة النفسية والفكرية لدى الطلبة قبل تفاقم الصراعات القيمية أو الهوياتية. فهي لا تستهدف منع التحويلات الاعتقادية بحد ذاتها، بل تسعى إلى جعلها — إن حدثت — عملية واعية، متزنة، وغير مدمرة للتماسك النفسي أو الانسجام الاجتماعي.

3. دور المقاربة الوقائية في التوجيه التربوي

تلعب تنمية مهارات التواصل والحوار من خلال تدريب الطلبة على الحوار المفتوح والاستماع الفعال واحترام الاختلاف، دورا في التقليل من النزعات الدفاعية أو الاستقطابية عند مناقشة القضايا الدينية أو الفلسفية. كما أن تعزيز التفكير النقدي المنضبط من خلال تعليم مهارات تحليل المعلومات، والتمييز بين الرأي والمعطى العلمي، وتقويم الحجج، يساعد الطالب على بناء موقفه الاعتقادي بصورة عقلانية متدرجة بدل التبني الانفعالي أو الاندفاعي.

كما تشكل برامج الوعي الذاتي وبناء الهوية في تمكين الطالب من فهم دوافعه وأسئلته الوجودية، وتفكيك مصادر التوتر الداخلي، وبناء انسجام بين قناعاته وسلوكه. ودون الاغفال عن إرساء مناخ جامعي داعم من خلال خلق بيئة آمنة تقبل التعدد الفكري وتشعر الطالب بالاحترام، بعيدا عن الوصم أو الإقصاء، وهو ما يخفف من تحول الاختلاف إلى صراع هوياتي.

4. أثر المقاربة الوقائية على التحويلات الاعتقادية

تسهم الفضاءات الحوارية المؤطرة والبرامج الوقائية في تقليل الاستقطاب الفكري لدى الطلبة، إذ تحد من احتمال تحول المراجعات الفكرية إلى مواقف متطرفة أو عدائية، وتوفر بيئة آمنة للنقاش الرصين وتبادل الآراء. كما تساعد هذه المقاربات على تحويل أزمة الهوية من تجربة قطيعة حادة ومربكة إلى فرصة للنمو المعرفي وإعادة بناء المعنى ضمن مسار نضج تدريجي ومتوازن. ومن جهة أخرى،

تعزز هذه البرامج الاتساق الداخلي لدى الطالب عبر تمكينه من الموازنة بين تساؤلاته الجديدة ومنظومته القيمية، مما يخفف من حدة التوتر النفسي المصاحب لمرحلة التحول. وبذلك تساهم في حماية الصحة النفسية، حيث إن غياب الدعم قد يفضي إلى الشعور بالعزلة أو الاغتراب، في حين يعمل الاحتواء المؤسسي على دعم التكيف النفسي والاجتماعي وضمان استمرارية الاندماج الإيجابي داخل الوسط التعليمي.

إن المقاربة الوقائية في التوجيه التربوي لا تقاس بقدرتها على "منع" التحولات الاعتقادية، بل بقدرتها على إدارة هذه التحولات تربوياً ونفسياً في إطار من المسؤولية والحوار والاحترام. فهي تعمل على بناء مناعة فكرية وأخلاقية تجعل الطالب قادراً على إعادة بناء معتقداته — أيا كان اتجاهها — دون أن يفقد توازنه النفسي أو اندماجه الاجتماعي.

4.1. آليات التدخل في الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي

في التعامل مع التحولات الاعتقادية، لا سيما الإلحاد، لدى طلبة الجامعة، فإن آليات التدخل في الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي يجب أن تكون حساسة وداعمة، مع التركيز على نمو الطالب ورفاهيته.

← الإصغاء غير المشروط كمدخل إنساني

يعد المدخل الإنساني، الذي أسسه كارل روجرز، حجر الزاوية في الإرشاد الفعال. يشدد هذا المدخل على أهمية "الإصغاء غير المشروط"، حيث يستمع المرشد للطلاب بتركيز كامل، ويقبل مشاعره وأفكاره دون حكم مسبق أو تقييم. هذا يخلق بيئة آمنة وداعمة تسمح للطلاب بالتعبير عن أعمق شكوكه وتساؤلاته حول المعتقدات، بما في ذلك الإلحاد، دون خوف من الإدانة أو الرفض.

بناء علاقة مهنية قائمة على الثقة والتعاطف يمكن الطالب من استكشاف تحولاته الاعتقادية بحرية، مما يساعده على فهم دوافعه وميوله بشكل أفضل. يهدف هذا النهج إلى تعزيز الوعي الذاتي وتمكين الطالب من إيجاد حلوله الخاصة، بدلاً من تلقين إجابات جاهزة.

← دعم الطالب بدل فرض القناعات

بدلاً من محاولة فرض قناعات دينية أو أيديولوجية معينة على الطالب، يركز الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي على دعم الطالب في بناء معناه الخاص للحياة. هذا النهج مستوحى من أفكار فيكتور فرانكل، الذي يرى أن المعنى شخصي وفريد لكل فرد. المرشد لا يقدم أجوبة، بل يساعد الطالب على طرح الأسئلة الصحيحة، واستكشاف قيمه، وتحديد أهدافه، واكتشاف مصادر المعنى في حياته.

هذا يتضمن مساعدة الطالب على فهم أن التحولات الاعتقادية، حتى لو كانت مؤلمة، يمكن أن تكون جزءاً من رحلة أوسع نحو النمو الشخصي والبحث عن الأصالة. الهدف ليس تحويل الطالب إلى مؤمن أو ملحد، بل تمكينه من الوصول إلى قناعات تتوافق مع ذاته وتمنحه شعوراً بالاتساق والسلام الداخلي.

← المؤسسات الجامعية وتنمية التفكير النقدي ومهارات الحوار المسؤول

لتعزيز التكيف الصحي مع التحولات الاعتقادية، من الضروري أن تعمل المؤسسات الجامعية على تنمية التفكير النقدي ومهارات الحوار المسؤول. يمكن تحقيق ذلك من خلال:

- ✓ ورش عمل ومحاضرات: تركز على تعليم الطلاب كيفية تحليل المعلومات، تقييم الحجج، وتكوين آراء مستنيرة.
- ✓ مجموعات نقاش: توفير مساحات آمنة ومنظمة للطلاب لمناقشة القضايا الفكرية والاعتقادية الحساسة، مع التركيز على الاحترام المتبادل والاستماع الفعال.
- ✓ دمج مهارات التفكير النقدي: في المناهج الدراسية عبر مختلف التخصصات، بحيث يصبح التفكير النقدي جزءاً لا يتجزأ من التجربة التعليمية.

هذه الجهود تهدف إلى تحويل الجامعة إلى مركز للحوار الفكري البناء، حيث يتم تشجيع الاختلاف في الرأي كفرصة للتعلم والنمو، بدلاً من كونه مصدراً للصراع أو الاستقطاب. من خلال هذه الآليات، يمكن للمؤسسات الجامعية أن تدعم الطلاب في رحلتهم لتشكيل هوية متكاملة ومعنى شخصي عميق.

الخاتمة

إن ظاهرة الإلحاد لدى طلاب الجامعة لا يمكن اختزالها إلى مجرد موقف فكري منعزل، بل تفهم كجزء من ديناميات معقدة تشمل تشكل الهوية الذاتية، البحث عن المعنى الشخصي، والسعي نحو الاتساق النفسي في مرحلة انتقالية حاسمة. فالجامعة، بفضل تنوع مصادرها المعرفية وتعريضها الطلاب لأفكار متنوعة من الفلسفة الغربية إلى العلوم التجريبية، تمثل سياقاً خصباً لإعادة مساءلة المرجعيات الدينية الموروثة، مما قد يؤدي إلى تحولات اعتقادية تتراوح بين التعزيز، التعديل، أو الرفض الكامل. هذه التحولات غالباً ما تتفاقم بفعل ضغوط نفسية مثل الشك الوجودي، أزمات الهوية في سن 18-22 عاماً، أو تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي التي تعزز الشكوكية.

من منظور الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي المعاصر، يبرز دور نظريات رئيسية مثل نموذج إريك إريكسون لتطور الهوية، حيث يصور المراهقة المتأخرة كمرحلة "الهوية مقابل الارتباك"، ونظرية فيكتور فرانكل في "البحث عن المعنى" الذي يؤكد أن الإنسان يتحمل أي

"كيف" إذا وجد "لماذا"، ونهج كارل روجرز في العلاج المتمركز حول العميل الذي يشدد على الإصغاء غير المشروط والقبول الإيجابي. هذه الإطارات تحول الإلحاد من "مشكلة" إلى فرصة نمو، إذ يمكن أن يعبر عن سعي أصيل نحو الأصالة بدلا من مجرد تمرد.

لذلك، يتوجب على المؤسسات الجامعية تبني مقاربات وقائية وبناءة، مثل إنشاء مراكز إرشاد نفسي متخصصة تقدم جلسات فردية وجماعية تركز على تعزيز التفكير النقدي المسؤول، الحوار بين الأطراف المختلفة (مثل نوادي نقاش فلسفي-ديني)، وأدوات الوعي الذاتي كالكتابة اليومية أو اختبارات شخصية مثل MBTI أو مقاييس فرانكل للمعنى. كما يفضل تدريب الكادر الأكاديمي على التعرف المبكر لعلامات الصراع الاعتقادي، مثل الانعزال أو التشكيك المتكرر في الدروس، وتوجيه الطلاب نحو برامج توجيهية تعتمد على مبادئ روجرز لتعزيز الثقة الذاتية دون فرض قناعات. بهذه الطريقة، تتحول الجامعة من حارسة للتقاليد إلى فضاء لنمو إنساني متكامل، يقوم على الحرية المسؤولة، احترام التعددية الفكرية، ودعم الطلاب للوصول إلى اتساق داخلي يعكس ذواتهم الحقيقية، مما يساهم في مجتمع أكثر تسامحا وإنتاجية.

المراجع

- [1] Erikson, E. H. (1968). *Identity: Youth and crisis*. Norton.
- [2] Frankl, V. E. (1963). *Man's search for meaning*. Beacon Press.
- [3] Rogers, C. R. (1951). *Client-centered therapy*. Houghton Mifflin.
- [4] Bowman, N. A. (2017). College students' appreciative attitudes toward atheists. *Research in Higher Education*, 58(1), 1–25. <https://doi.org/10.1007/s11162-016-9417-z>
- [5] Mueller, J. A. (2012). Understanding the atheist college student: A qualitative examination. *Journal of Student Affairs Research and Practice*, 49(3), 249–266.
- [6] Khalili, F. N. (2020). Attitudes towards cultural globalization and atheism: A field study on Palestinian university students. *Journal of Educational and Psychological Sciences*, 4(18), 150–169.
- [7] Ndereba, K. M. (2023). Faith, science, and nonreligious identity. *Zygon Journal*.
- [8] Falewicz, A. (2025). Spiritual conversion: A study of religious change among college students. *Journal for the Scientific Study of Religion*, 37(1), 161–180.
- [9] Cotter, C. R. (2015). Without God yet not without nuance: A qualitative study of atheism and non-religion among Scottish university students. In *Atheist Identities* (pp. 1–34). Springer.
- [10] Gingras, Y., & Talin, K. (2020). More religion means less science: International comparison of religiosity and scientific knowledge. arXiv.
- [11] Jafarigol, E., Keely, W., Hartog, T., Welborn, T., & Trafalis, T. B. (2023). Religious affiliation in the 21st century: A machine learning perspective on the WVS. arXiv.
- [12] Pew Research Center. (2017, April 26). In America, does more education equal less religion? Pew.
- [13] Pargament, K. I. (1997). *The psychology of religion and coping*. Guilford Press.
- [14] Zuckerman, P. (2008). *Society without God: What the least religious nations can tell us about contentment*. NYU Press.
- [15] Smith, C., & Denton, M. L. (2005). *Soul searching: The religious and spiritual lives of American teenagers*. Oxford University Press.

[16] العسري (2023)، دراسة نظرية تطبيقية: أسباب الالحاد الجديد في العالم العربي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات دمنهور.

[17] غادة رمضان (2021)، الالحاد أسبابه وتداعياته وكيفية مواجهته، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان.

[18] م. أحمد (2024)، لماذا يلحدون، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

- [19] أحمد علي محمد (2025)، أسباب الإلحاد عند الشباب في الواقع المعاصر، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط.
- [20] الزمني محمد (2024)، دوافع الإلحاد عند أبناء المسلمين بين حقيقة الواقع ودعاوى الملحدین، مجلة الحكمة للدراسات النفسية والتربوية.
- [21] سعيدة لونيس (2023)، التوجه الديني وعلاقته بالسلوك الاجتماعي الإيجابي لدى طلبة الجامعة، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية ، 8(1), 189–201.
- [22] دراسة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (2025)، دراسة مقارنة : الإلحاد الضمني والصريح لدى طلبة الجامعة العراقية، مركز البحوث النفسية، العراق.